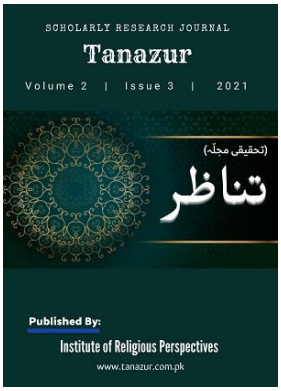

Tanāẓur

Volume: 2, Issue: 7, July-September: 2021

Homepage: http://tanazur.com.pk/index.php/tanazur/index

Article: # مناهج المستشرقين فى علوم القرآن: دراسة نقدية

Critical study of Contemporary Muslim reformists' approach

Author(s) & Affiliation:

Mutiullah: PHD. Scholer, Minhaj Universitym, Lahore.
Mutiullah1981@gmail.com

Dr Masood Mujahid: AP. DEPT of Arbic, Minhaj Universitym, Lahore.

Published: July-September: 2021

Citation: Mutiullah، and Dr Masood Mujahid, " Critical study of Contemporary Muslim reformists' approach." Tanāẓur, 2, no.7, July-September (2021): 55− 63.

Publisher Information: Institute of Religious Perspectives, Lahore Pakistan

مناهج المستشرقين فى علوم القرآن: دراسة نقدية

Critical study of Contemporary Muslim reformists' approach

Abstract:

Orientalists showed great interest in studying Qur'anic sciences and rest of Islamic sciences. These sciences are considered as expressive and reassuring fields that help to understanding the Qur'an better and recognizing its core message. However, there is no doubt that such fields often make the first choice for most orientalists, either by studying and searching or analyzing and critiquing. But such studies may not be taken into account as they usually tend to falsify axioms held by Muslims and question their indubitable beliefs. In spite of that, this does not necessarily restrain us from examining these studies to be acquainted with what has been and is said about the Qur'an to reveal orientalists' method of research. This study aims at revealing the methodology of orientalists in employing books of Qur'anic sciences and tafseer in their research and their method in studying them. However, the results of this study are likely to be partial but neither comprehensive nor related to a particular methodology. This is because, the topic is relatively new and only few papers have been written on it. Besides, in order for this study to be more fruitful it needs long experience and deep readings in books written by orientalists in the field of Qur'anic sciences. In spite of that, a thorough examining of orientalists' most popular books in Qur'anic sciences and tafseer is sufficient to give general idea about the main features of orientalists' methodology in studying Qur'anic sciences and tafseer.

Keywords: ORIENTALISM, QURAN, METHADOLOGY, QURANIC SCIENCES, TAFSEER

التمہید:

لقد انساق المستشرقون المعاصرون مع اسلافهم فى اتباع منهج الشک والمبالغة فى اثارة الشکوک مول الوقائع التاريخية الثابتة، والروايات الصحيحة المرتبطة بتاريخ القرآن وعلومه، واعتمدوا فى ذالک على عملية الانتقاء بطريقة مغرضة و هادفة الى ما يصبون اليه من نتائج عکسية، کما ان عدم ثقتهم فى صحة النص القرآنى دفعهم الى الشک فى امانة نقله وسلامة تبليغه، اضافة الى الشک فى جمعه وترتيبه، وهکذا يدعى کثير من المستشرقين ان النص القرآنى الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم قد نالته بعد افضاءه به الى الناس تعديلات بالزيادة والنقصان خاصة فى صورته المکتوبة[1]، ووجدوا فى موضوع اختلاف المصاهف الخاصة التى کانت بايدى بعض الصحابة ميدانا يخبون فيه ليشفوا رغبة فى صدورهم وهى زلزلة العقيدة وفتح ابواب الشکوک والارتياب۔ ان هؤلاء المستشرقون کانوا يعرفون ان الشک فى نص يوجب الشک فى آخر ، ولذلک فهم يلحون فى طلب روايات الاختلاف وينقلونها فى غير تحرز ويؤيدونها غالباً ولا يمتحنون اسانيدها ولا يلتفتون الى آراء علماء المسلمين فيها۔Arthur Jeffery [2] قد جمع الاختلافات المنسوبة الى المصاحف الفردية لبعض الصحابة امثال ابن مسعود وابى بن کعب وعلى بن ابى طالب وابن عباس وابى موسى الاشعرى وحفصة وانس بن

---

[1] ***Encyclopedia de Islam***, 2eme edition 1985 (5/405)

[2] Arthur Jeffery قام باشاعة کتاب المصاحف ، الفه ابن ابى داؤد المتوفى 316ھ وقد کتب فى بداية الکتاب مقدمة مطولة باللغة الانجليزية و کتب ما زعم انها مصاحف الصحابة الخاصة۔

Arthur Jeffery, ***Materials for the History of the Text of the Quran***, Istanbul, 1937

مالک وغیرہم کما جمع الاختلافات المنسوبة إلى بعض مصاحف التابعين، وقد جمع ذلك من مختلف المصادر القديمة التي احتفظت بالروايات الآحاد والشاذة المنسوبة إليهم، وبخاصة تفسير الطبري الذي استقصى الشيء الكثير من ذلك.ومع أن بعضهم لا يجدون مناصة من الاعتراف بأن بعض الاختلافات تبدو مستحيلة من الناحية اللغوية، وبعضها الآخر يشعر أنها مما اخترعه بعض اللغويين الذين نسبوها لهؤلاء الصحابة والتابعين، فإنهم يصفون مصحف عثمان (رضي الله عنه) بأنه أقرب المصاحف إلى الأصل [3]، ولا يقولون إنه الأصل الموثوق به نفسه، فهم يتحاشون الاعتراف بأن القرآن الكريم قد جمع وفق منهج علمي رصين قوامة التوثيق والدقة والتثبت، وقد أجمع الصحابة على صحة هذا الجمع وتلقوه بالقبول والعناية، وأخذوا بما تضمنه من الأوجه والقراءات [4]، ومن ضمن هؤلاء الصحابة - بطبيعة الحال - جميع الصحابة الذين حشد لهم آرثر جفري مصاحف خاصة تتضمن بعض الاختلافات، ومنهم علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) الذي قال: «أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر فإنه أول من جمع ما بين اللوحين) [5].كما أن زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير اللذين ذكر لهما جفري مصحفين خاصين كانا ضمن اللجنة الرباعية التي شكلها عثمان بن عفان رضي الله عنه) لجمع القرآن في عهده.لقد أدرك المسلمون منذ قديم أن هذه المصاحف الخاصة التي أمر الخليفة عثمان (رضي الله عنه) بإحراقها على ملأ من الصحابة، وبموافقتهم - ولم يبق منها شيء - قد كتبها أصحابها لأنفسهم، وأنها عبارة عن تقييدات خاصة تضمنت ما كانت روايته آحادة أو شاذة، وما نسخت تلاوته، فضلا عن مختلف التفسيرات والشروح التي كانوا يسمعوها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحرصون على تقييدها للاستعانة بما في استيعاب مضامين الآيات القرآنية.

لقد وجد المستشرق ولش Welch كاتب مادة القرآن في دائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الجديدة [6] في انفراد ابن مسعود (رضي الله عنه) بمصحف خاص خال من ذكر المعوذتين [7]بابا بلجه كما وجه غيره للتشكيك في مدى تواتر السورتين، وبالتالي التشكيك في مدى موثوقية القرآن الكريم، لقد حاول الرجل تدعيم ما ذهب إليه بنصوص منقطعة وضعيفة تصيدها من (كتاب المصاحف) لابن أبي داود وغيره من الكتب التي لم تتحر الصحة في النقل. ولا شك في أن الرأي المنسوب إلى ابن مسعود (رضي الله عنه) باطل من أساسه، وقد رده كثير من العلماء منهم الإمام الباقلاني (ت 403م) في كتابه إعجاز القرآن» فقال [8]: ..... ولو كان قد أنكر السورتين على ما ادعوا لكانت الصحابة تناظره على ذلك وكان يظهر وينتشر، فقد تناظروا في أقل من هذا. وهذا أمر يوجب التكفير والتضليل، فكيف يجوز أن يقع التخفيف فيه؟ وقد علمنا إجماعهم على ما جمعوه في المصحف ...)) ثم بين كيف أن الرواية المنقولة بهذا الصدد لا تعدو أن تكون خبر آحاد لا يسكن إليه، ولا يعول عليه. كما كب الإمام النووي هذه الرواية فقال: (أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة وسائر السور المكتوبة في المصحف قرآن، وأن من جحد شيئا منها كفر، وما نقل عن ابن مسعود - في الفاتحة والمعوذتين - باطل وليس بصحيح عنه) [9]وينقل النووي أيضا عن المازري قوله في تعليل هذه الرواية فيما لو كانت صحيحة: ويحتمل مما روي من إسقاط المعوذتين من مصحف ابن مسعود أنه اعتقد أنه لا يلزمه كتب كل القرآن وكتب ما سواهما وتركهما الشهرتهما

---

3 Arthur Jeffery, ***Materials for the History of the Text of the Quran***, p:10

4 د. لبيب السعيد: **الجمع الصوتي الأول للقرآن**، طبعة دار المعارف بالقاهرة 1978 ، 323.

5 السيوطى،**الإتقان في علوم القرآن للسيوملي**. مطبعة دار الكتب العلمية بيروت، 1/ 127

6 ***Encyclopédie de l'Islam***, art ((Quran). T 5 p: 410.

7 في روايات أخرى أن متحفه خال أينما من الفاتحة، انظر الإتقان 184/ 1

8 الباقلاني: **إعجاز القرآن**، حلبعة عالم الكتب بيروت 1988 ص 262

9 السيوطى،الإتقان فى علوم القرآن، 1/185

عنده وعند الناس) [10].ولعل أبرز دليل على أن عدم كتابة المعوذتين في مصحف ابن مسعود لا تعني عدم حفظه لهما أن الفاتحة هي بدورها ليست في مصحفه، فهل يعقل أن ينكر ابن مسعود السورة التي لا صلاة لمن لم يقرأ بها.فالمستشرقون إذن بالرغم من اقتناعهم بتواتر جميع سور القرآن جيلا بعد جيل، ولا سيما أن التاريخ لم يذكر لنا تبني أية طائفة من المسلمين لهذا الرأي الباطل المنسوب إلى ابن مسعود، فإنهم يسعون إلى التشكيك فيما هو قطعي و متواتر، وتنطق به ملايين النسخ من المصاحف المطبوعة في مختلف بقاع العالم . إضافة إلى خصيصة الحفظ في الصدور التي تميز الأمة الإسلامية، والتي تؤكد أن حفظ القرآن عن ظهر قلب بالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر دليل على موثوقية النص القرآني وحفظه من كل زيادة أو نقصان.

الثاني: منهج الانتقاء في استعمال المصادر

لا شك أن فعالية المنهج المتبع في أية دراسة، تتوقف على قيمة المصادر والروافد المعتمدة؛ إذ هي القاعدة المغذية والمادة الخام التي ترتكز عليها الدراسة، فكلما كانت المصادر رئيسة وأصيلة وذات علاقة مباشرة بالموضوع، كانت الدراسة أقرب إلى حصول المراد المنشود والمبتغي المقصود من طرف الباحث. وفي إطار البحث الاستشراق يتبين أن المنهج المتبع في انتقاء المصادر المعينة على بحث الموضوعات المرتبطة بالقرآنيات يتنوع ويختلف تبعا لطبيعة الموضوعات المطروقة من جهة، ولمدى موضوعية المستشرق وأمانته العلمية أوحياده على الأقل في توظيف تلك المصادر والنقل عنها من جهة ثانية.وسنبحث في السطور القادمة عن بعض النقاط التى تبرز لنا نوع الخلل المنهجى الذي ينال أحيانا بعض دراسات المستشرقين في هذا المضمار؛ إيمانا منا بأن دراسات المستشرقين في محال القرآنيات ليست كغيرها .لا لشيء - إلا لكونا منصبة على موضوع يرتبط بمسألة الوحي المنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم الذي لايؤمن به الباحث، ولا يمكن أن يتعاطف معه مبدئيا، وبالتالي لابد من أن تؤثر فيه قناعاته الدينية في بحال البحث، ولعل أبرز مواطن الخلل يمكن الإشارة إليها ما يلي

المطلب الأول: اعتماد عدد معين ومحدود من مصنفات علوم القرآن دون غيرها

وهذا أمر يمكن أن يلاحظه كل من ت تبع بدقة بعض دراسات القوم في مجال القرآنيات، فعد د المصنفات العربية المتعلقة بعلوم القرآن المعتمدة من طرف المستشرقين محدود جدا، وهي في معظمها كتب جامعة لم تتحر الصحة والنقد والرواية السليمة [11]وهكذا نجد أن نولدكه، وبيل، وبلاشير، وبورتون في بحال جمع القرآن الكريم لا يتجاوزون كتب المصاحف لابن أبي داود، والإتقان للسيوطي، والفهرست لابن النديم، في حين لا نجد عندهم اعتمادا يذكر على الروايات الصحيحة الواردة في كتب الصحاح والسنن أو في مقدمات المفسرين القرآنية (مقدمة ابن جزي مقدمة ابن عطية ومقدمة القرطبي وغيرها): كما لا نجد إشارة إلى كتاب أبي شامة المقدسى (ت 665ھ) : المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بكتاب الله العزيز، أو كتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي (ت 794ھ) أوكتاب التبيان للنو وي (ت 643ھ) أو كتاب ابن الجوزي فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن أو ما جاء في فتح الباري لابن حجر(ت 852ھ) وغيره من شراح كتب الصحاح والسنن.من جهة أخرى يلاحظ أن المصنفات المعتمدة لدى المستشرقين المعاصرين هي نفسها التي كان يعتمدها أسلافهم من

---

[10] شرح النووى على صحيح مسلم2/110-108

[11] للتدليل على ذلك لابد من نظرة عابرة على إحصاء عد د المراجع التي ذكرها بلاشير في مقدمة كتابه ((مدخل إلى القرآن)) فيوجد منا أنه اعتمد على مائة وثمانية وسبعين كتابا، ليس منها سوى سبعة وأربعين كتابا عربيا، كثير منها في الأدب والتاريخ، مثل: تاريخ اليعقوبي، ومروج الذهب ل لمسعودي، وأسد الغابة لابن الأثير، ومقدمة ابن خلدون، والفهرست لابن النديم، وغيرها.

المستشرقين القدامى،وذلك بالرغم من صدور كثير من الكتب الموثوق بجا والمعتمدة في علوم القرآن، وهذا أمر يسهل التأكد منه من خلال الاطلاع على لوائح المراجع المعتمدة لدى المستشرقين المعاصرين مقارنة بما جاء لدى القدامى منهم. وبذلك يمكن القول بأن حصر المصادر و نوعيتها يكاد يكون تقليداً في البحث الاستشراقي، وهو يرمي إلى الإبقاء على الشبهات والافتراءات نفسها التي نسجها المستشرقون الأوائل، وذلك عن طريق الإشارة إلى الاقتباسات والإحالات ذاتهاتم الاستنتاجات والافتراضات نفسها، وهذا ما يلاحظ من خلال مادة القرآن التي حررها A.T.Welch في دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية في طبعتها الثانية. وهي مادة مطولة وجامعة لأبرز علوم القرآن التي درج المستشرقون على الخوض فيها ودراستها. والشيء نفسه يمكن ملاحظته في كتاب نولد كه ((تاريخ القرآن)) وكتاب جفري مواد من أجل دراسة تاريخ النص القرآني وكتاب جون بورتون "جمع القرآن" وكتاب بلاشير "مدخل إلى القرآن"-ومن نواحي الضعف المنهجية التي تدخل في السياق نفسه محاولة دراسة اتجاه معين في التفسير أو تيار معين في بجحال من من خلال مجالات علوم القرآن نموذج أو نموذجين يتم اختيارهما، والوقوف عندهما دون غيرهما. مثال ذلك ما اعتمده جولدزيهر في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي [12] فقد كان يرمي إلى تحقيق افتراض بعينه اعتنقه مقدما واعتسف من المقدمات واختار من الوسائل والأمثلة في تاريخ التفسير ما يوصله إلى ذلك الغرض، ويحق ق له تلك النتيجة بعينها، فاقتصر على دراسة تفسيرين: تفسير الطبري، وتفسير المنار، وقد يكون من حق المؤلف أن يلتزم منهجا يسعف على تصوير افتراض يتخيله، ولكن ليس من الحق أن يقال إن جهده في هذا الصد د كشف صادق عن حقيقة التفسير عند المسلمين. لقد تخير جولدزيهر من مناهج المفسرين ما يخدم فكرته ويكشف أثر الالتزام المذهبي في توجيه النص وإنطاقه بمبادئ المذهب وعقائده ، فاقتصر على دراسة تفاسير محد دة (الطبري - الزمخشري- ابن عربي. . .) ولم يستقص بيان مذاهب التفسير كلها،[13] وقد يكون من حق الباحث أن يسلك أي الطرق المنهجية في بحثه لكي يصبح من الواجب عليه حينئذ أن يلتزم أصول-هذا الطريق طوال بحثه، وألا يؤمن ببعض المنهج ويكفر بالبعض الآخر، ولو فعل المستشرق ذلك واستقصى جوانب التفسير المذهبي كلها من تشريعية فقهية، إلى اللغوية نحوية، أو أثرية موسوعية من خلال جميع كتب التفسير التي كانت – على الأقل - في وقته لتكشفت له حقيقة مغايرة، وهي أن النص القرآني نص خصيب متجد د وثري. فليس سهوا إذن أن يغفل جولدزيهر عن آثار أخرى في التفسير،وإنما هو التجاهل المتعمد ليبدو محصول المسلمين من التفسير في النهاية رذاذامتناثرا فرقته الأهواء الحزبية والفكرية- [14]

المطلب الثاني: انتقاء الروايات الضعيفة والمنقطعة من مصادرعلوم القرآن.

يكاد يتفق منهج المستشرقين العام في الدراسات القرآنية على تعمد اختيار الأخبار الضعيفة والروايات المنقطعة في بطون المصادر العربية قصد بناء أحكامهم عليها، والتدليل بما على مقاصد وأغراض معينة. ولقد وجد المستشرقون في كتب معينة ما أفادهم في ضرب بعض الروايات بعض قصد التشكيك في مصداقية النص القرآني، كما أنم قد يعتمدون بعض

---

[12] إجناس جولدزيهر: **مذاهب التفسير الإسلامى**، ترجمة د. عبد الحليم النحار، طبعة دار اقرا ببيروت.

[13] هذا ما يبدو من تقسيم جولدزيهر لكتابه إلى خمسة مباحث نمن كل واحد منها ما يعتقد أنه يمثل تياراعاما، انظر العفحات: 73-120-201-286-37 3.

[14] ابراهيم شريف، دكتور،اتجاهات **التجديدفى تفسيرالقرآن فى مصر**،دار التراث، قاهرة، 1982، 7

الروايات المنقطعة التي ترمي إلى نقض ما هو مشهور ومعروف لدى المسلمين عن تاريخ النص القرآني، إن ولش كاتب مادة »القرآن في دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية« [15]قد وجد فيما أورده السيوطي في إتقانه[16]

> من روايات مختلفة ومتباينة عن أول من جمع القرآن الكريم بابا يلجه، لكي يعرض أمام القراء جملة من الروايات الضعيفة التي تسند الأولية في جمع القرآن تارة إلى عمر رضي الله عنه، وتارة إلى علي رضي الله عنه وينقل عن ابن أبي داود أيضا رواية مفادها أن أبا بكر رضي الله عنه بدأ بالجمع، ثم أكمل ذلك عمر رضي الله عنه، وينقل أيضا رواية عن ابن سعد في طبقاته[17] مفادها أن عمر رضي الله عنه توفي ولم يكمل جمع القرآن.فمختلف هذه الروايات الضعيفة والمنقطعة ت تعارض مع ما جاء في صحيح البخاري من أن أول من جمع القرآن هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه[18]

وقد وجد معظم المستشرقين في كتاب "المصاحف" لابن أبي داود (ت 316هـ) ضالتهم المنشودة، ومعروف عن ابن أبي داود أنه كان يجمع كل ما بلغه في شان جمع القرآن واختلاف مصاحف الصحابة دون تمحيص أو تثبت.

المطلب الثالث: توليد النصوص والشواهد بتصيدها من كتب الأدب والتاريخ وغيرها

يختلف البحث الاستشراقي في حقل القرآنيات عن المنهج الإسلامي المؤسس على ضرورة اعتماد الموثوق من المصادر والمشهود له بالأولية والتميز ، فالمصادر القرآنية الموثوقة ليس فيها ما يسعف القوم في تسويغ ما يصبون إلى تأكيده من أحكام مغرضة، واستنتاجات مغلوطة وخاطئة أريد لها أن تكون كذلك، ولهذا يلتجئ القوم إلى مصادر أخرى بحثا عما يعينهم على بلوغ مأمولهم فيجدون بغيتهم في كتب الأدب والتاريخ وغيرها دون أدن اكتراث بما بشكله اعتماد تلك المصادر في قضايا جوهرية ترتبط بالدراسات القرآنية من خلل منهجي كبير، ربما كان المستشرقون أول من نبهوا خطورته وعواره في أبحاثهم الأخرى.ومكذا مثلا يتم الاعتماد على كتاب مروج الذهب للمسعودي، وكتاب الأغاني للأصفهاني، وكتاب الفهرست لابن النديم، وكتاب الإحياء لغزالي،وكتاب الحيوان للدميري وغيرها في دراسة علوم القرآن والتفسير.[19]وقد يهدف المستشرق من وراء ذلك إلى افتعال نوع من التشويش والبلبلة في الأذهان، كما فعل الفرنسى بلاشير في معرض حديثه عن عد د السورالمكية والمدنية؛ حيث أحال في أحد الحواشى على كتاب "الإتقان" ثم قال بعد ذلك:حسب رواية يقدمها لنا ابن النديم في كتابه "الفهرست" فإن عد د السورالمكية 85 وعدد السور المدنية 28، ثم يعقب بقوله: »لاحظوا فان فالجموع 113 سورة!! «'[20]وهنا نجد الرجل الذي عرف بمنهجه الصارم وحسه النقدي في البحث لم يجرؤ على أن يقول: ربما وقع سهو في كلام ابن النديم أو أن العد د 86 تحول إلى 85 خطأ أثناء النسخ أو شيء من هذا القبيل ما دام إجماع الأمة الإسلامية، وكذا ما تنطق به الملاي ين من المصاحف المطبوعة على أن عد د سور القرآن 14 1 سورة.والواقع أن كثيرا من المستشرقين ودعاة التغريب قد ألحوا على اعتماد مثل هذه الكتب، وأولوها الاهتمام البالغ وأعادوا طبعها وأذاعوا

---

[15] Encyclopédie de l'Islam Tome 5 p 406

[16] الإتقان 1/164

[17] محمد بن سعد الزهري ،**الطبقات الكبير** ـ(بيروت:مكتبة الخانجى، 2001)،2:212ـ

[18] البخارى ، محمد بن اسماعيل ،**صحيح البخارى** (دار طوق النجاة، 1422م) ،رقم: 4986

[19] انظر اعتماد حولدزيهر على هذه الكتب في كتابه رمذاهب التفسير الإسلامي« طبعة دار اقرا، بيروت1983م في الصفحات التالية: 78-83-90-91، وانظر اعتماد بلاشير على (مروج الذهب) في كتاب Introduction au Coran ، 29 ، 76ـ

[20] Blachère: Opcit p 243, note ;350

بجا، وحرضوا الباحثين من التغريبي ين على اعتمادها مصادر ومراجع؛ وذلك لأنها تفسد الحقائق وترسم صورا غير صحيحة ولا موثوقة عن واقع الأمور.

المطلب الرابع : إهمال المصادر القرآنية الأصيلة والاحتفاء بدراسات المستشرقين السالفة

يبدو أن من أخطاء منهج المستشرقين في اعتماد مصادر ومراجع معينة تعمد عدم الاكتراث بموثوقيتها وأولوية بعضها؟ لهذا نجد أن المستشرق الذي يسعى إلى فرض فكرة معينة وتكريسها لا يلقي بالاً إلى المصادر التي ترمي مضامينها إلى نقيض ما يذهب إليه ، وهو يعمد في الغالب إلى تقديم كتب ثانوية وغير موثوقة على ما هو معروف من كنب موثوقة ومعوَّل عليها ، وهذا المنهج الخاطئ كفيل بأن يؤدي إلى نتائج مغلوطة وخاطئة أريد لها أن تكون كذلك.ويبدوان من أعظم أخطاء هذا المنهج المتمثل في عدم ترتيب المصادر حسب موثوقيتها وقيمتها تقديم كتب المستشرقين على غيرها من كتب العلماء المسلمين الأوائل في نقل الروايات،والنصوص القديمة. إن بلاشير الفرنسي مثلاً لا يتوانى في الإحالة على كتاب (تاريخ القرآن) للمستشرق الألماني نولدكه كلما تعلق الأمر بذكر أحاديث نبوية أو روايات مأثورة [21] تختص بمسألة جمع القرآن - مثلا- والتي نقلها العلماء المسلمون في كتبهم ، والمثير للغرابة أن يلجا بلاشير في حاشية واحدة إلى الإحالة على كتاب نولدكه أولا ، ثم يتبعه بكتاب الواحدي في أسباب النزول وتفسير أبي حيان ، ثم الإتقان للسيوطي[22]والمستشرق ولش في مادة (القرآن) [23]يقول : (لا شيء في القرآن يدل على أن معنى (الأمي) الذي لا يقرأ ولا يكتب ، وبدل الرجوع إلى كتب التفسير يحيل مباشرة بعد قوله هذا على (نولدكه) في تاريخ القرأن (1/14) ، وبيل في كتابه (ص 33) ، وبلاشير في مدخله (ص6-12) .ويعد لجوء المستشرقين إلى الإحالة على كتب زملائهم السابقين أولاً ، ثم الإشارة بعد ذلك إلى المصادر العربية الأصيلة أمرأيكاد يكون مطرداً. والأدهى من ذلك أن نعثر في كتاب بلاشير على حاشية يحيل فيها على كتاب نولدكه ثم يضع بين قوسين إشارة إلى أن نولدكه قد أسند نقله إلى الطبري في تفسيره ، لكن تبين لبلاشير أن الإحالة غير صحيحة ونص عليها ، ومع ذلك نجد الرجل لايعير المسألة أدنى اهتمام ، بل يمضي قدماً ويستشهد بما ذكره سلفه من نقول أو روايات تخدم هدفه ومرماه [24]إضافة إلى كل هذا فإن الترجمة من المصادر الأجنبية كثيرا ما يغير بها لفظ الشيء المترجم ، وبخاصة إذا كان اسم مكان أو اسم شخص غريب لا علم للمترجم به ، فلا ينفع في هذه الحالة إلا الرجوع إلى المصادر الأصيلة .

---

21 انظر مثلاص69حيث أحال في الحاشية 89على كتاب نولدكه فيما يخص حديثا رواه أنس بن مالك.

22 Blachère: op.cit p 243 note 349.

23 Encyclopédie de l'Islam p 404.

24 R. Blachère: ***Introduction au Coran*** p 69, note 89

ونص كلام بلاشير : « انظر كتاب نولدكه در(تاريخ القرآن) ، (مع حاشية تحيل على تفسير الطبري لكنه غير صحيح) حيث يورد نولدكه رواية مفادها أن الصحابي أنس بن مالك (ت91ھ) كان بعد قراءة (أقوم) مثل (أصوب) في الآية6من سورة المزمل)

منهج الاثر والتاثر هذا المنهج يعنى بالاخذ بالنزعة التاثيرية،وهى نزعةدراسية ياخذ بها معظم المستشرقين الذين اعتادوا رد كل عناصر منظومة الاسلام بعد تجزئتها الى اليهودية والنصرانية۔لقد كان المستشرقون القدامى اكثر اهتماما بهذه النزعة فى كتاباتهم ،حتى ان احد هم وهو اليهودى ابراهام غايغرA.Geiger اصدر عام 1833م كتابا يحمل عنوانا مثيرا هو:((ماذا اخذ القرآن عن اليهودية))[25]وقد كان هذا الكتاب ايذانا ببداية حقبة جديدة فى البحث الاستشراقى تهدف الى التنقيب عن كل ماقد يبدو للمستشرقين فى القرآن منقولا ومستقى من اليهودية،وقد اقبلت ابحاث هولاء تفكك مضامين القرآن الكريم ،لتردها الى عناصر توراتية۔ يهودية مزعومة۔ومما لاشك فيه ان الاحكام التعسفية المرتبطة هذا المنهج تكون حاضرة فى كتابات المستشرقين كلما وجد تشابه بين الموضوعات القرآنية والموضوعات المثوتة فى الانجيل او التوراة۔وهكذا تكون القصص القرآنية ماخوذة۔فى زعمحم۔عن القصص اليهردية والنصرانية۔فرجيس بالشيز۔على الرغم من اعتداله فى احكامه ۔يتحدث فى كتابه((معضلة محمد))[26] عن مصدر القصص القرآنية ذاكرا بالخصوص ان ممالفت انتباه المستشرقين التشابه الحاصل بين هذه القصص اليهودية والنصرانية فيقول مثلا:((ان التاثير النصرانى كان واضحا فى السور المكية الاولى ؛اذ كثيرا ما تكشف مقارنة بالنصوص غير الرسمية كانجيل الطفولة الذى كان سائدا فى ذلک العهد عن شبه قوى)) ويعرض فى هذا الصددآراء بعض الباحثين مبينا رايه فيما يستنتج من العلاقات المستمرة التى كان تربط بين موسس الاسلام والفقراء النصارى بمكة حسب زعمه۔ويذهب بعض المتشرقين الى ان كثيرا من الاعلام الواردة فى القران ذات اصل عبرانى،حتى احدهم وهو المستشرق الفرنسى اليهودى اندرى شوراكى A.Chouraquiقد اصدر منذ اكثر من عشر سنوات ترجمة لمعانى القرآن انتقدها المستشرقون قبل غيرهم من المسلمين، وقداحتفظ فيها بالاصول العربية لبعض الالفاظ من غير ترجمة،امعانا منه فى بيان اصلها العبرانى كم يزعم۔[27]كما انه يعطى كثيرا من الالفاظ القرآنية دلالات غريبة باللغة الفرنسية،وعند البحث العميق يتبين ان الرجل يريد القفز على المانى المعروفة والمتداولة۔والتى اتفق عليها مترجمو معانى القرآن ۔الى معان شاذة هى فى الاصل احدى المانى اللغوية لاصل اللفظة،لكن لايصلح استعماها لكى تودى الترجمة المناسبة للفظة القرآنية۔ان شوراكى يذهب فى مقدمة ترجمته لمعانى القرآن التى تقع فى ثلاث وعشرين صفحة الى ان لغة القرآن تكاد تكون اقرب الى العبرية التوراتية منها الى العربية المعاصرة،[28] وهو فى ذلك يرمى بشكل غريب الى ان معظم الالفاظ القرآنية لها ما يقابلها فى لغيه الام ،وبالتالى فان مصدر القرآن الرئيسى هو التوراة،وهذا ما يبالغ فى تاكيده فى تعليقاته وحواشيه الكثيرة التى يمكن القول بان معظمها وضع اساسا لبيان اصول الالفاظ القرآنية۔حسب زعمه۔فى التوراة۔فعبارة (رب العالمين)يترجمها Rabb des univers فيترك لفظة Rabbكما هى،لانها تعنى فى العربية۔كما يقول۔نفس ما تعنبه فى العبرية،ولفظة الشيطان يتركها كما هى Shaitanويقعول انما هى مرادفة للمعنى التوراتى۔ولفظة الامن يترجمها شوراكى L’amenوهبى ۔كما يقول ۔لفظة (توراتية)تدل على الملجا والملاذ،ولذ ك قوله تعالى مثابة للناس وامنا((البقرة:١٢٥)بقوله en lieu de retour et d’amen ولاش ك ان القارى الذى يجهل اصل كلمةamen التوراتى لا يستطيع ان يربط بين المعيين،ان هذا المنهج الذى يجعل القرآن متاثرا ومقتبسا من التوراة والانجيل،ينفى بطبيعة الحال كل اصالة للدين الاسلامى ولربانية المصدر القرآنى ۔والمستشرقون عندما يطبقون هذا المنهج على القرآن فانهم يرجعون اسسه ومبادئه ومضامينه الى اصول يهودية ونصرانية۔فهذا المستشرق المجرى اجناس جولدزيهرI.Goldziher(ت1921م)يقول بشيء من التحايل والدهاء وهو يحاول النفاذ الى القرآن بحثا رن عناصر اجنبية يشده الى اصوها المدعاة:((القرآنى مصدق لما سبق من الرسالات الدينية،وقد استصفى منها بعد فترة من الرسل ماهو جوهر الدين))۔ثم يحاول ان يعتسف من الادلة ما يعزز دعواه فيقول:((شعيرة التى كانت

بصورتها الاولى من قيام و قراء ة وبما فيها من الركوع والسجود وبما يسبقها من قضو ء تتصل بالنصرانية الشرقية۔ والصوم الذى جعل اولا فى يوم عاشوراء محاكاة للصوم اليهودى الاكبر وفيما يتعلق بشعائر الحج التى نظمها الاسلام او بالاحرى احتفظ بها من بين تقاليد العرب الوثنية جعل محمد صلى الله عليه وسلم اهمية كبرى لنية التقوى التى يحب ان تصحب هذه الشعيرة حين يقول:

''لَنْ يَّنَالَ اللّٰهَ لُحُوْمُهَا وَلَا دِمَاءُهَا وَلٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوٰى مِنْكُمْ ''[29]

وهكذا يكون القرآن فى نظر هذا المستشرق وغيره من زملائه اليهود قد تاثر بافكار يهودية تسربت اليه،وتضمن مصطلحات وشعائر دينية يهودية اقتبست من التوراة،كما ان قصص الانبياء واسماءهم انما اخذت عن اليهود،انهم يريدون ان يلجوا الى هذا المنهج الخطير الذى بزعم تاثر القرآن بغيره من الكتب السماوية لكى ينفعا ربانية المصدر القرآنى ولكى يشتوا اختراق النصرانية واليهودية على وجه الخصوص للقرآن وتعاليمه۔ان تسبع المششرقين بمنهج الاثر والتاثر راجع الى كون هذا المنهج قد طبق بصورة صارمة فى بيتنهم،ذل ك ان النهضة الاوروبية قد تاست على الحضارة اليونانية التى تعدالميراث القديم للفكر الغربى،وهكذا كلما انشى مذهب فكرى ودينى جديد وجد له نظير فى الحضار اليونانية القديمة،ومن خلال حذا تم تطبيق حذا المنهج على كل معطبات التراث الاسلامى ومنها حقل القرآنيات،وذل ك من غير اكثراث باصالة الترث الاسلامى ذى الاصول والاسس الواضحة المؤسسة على معايير دينية اصيلة،مستمدة مباشرة من الوحى الا هى المنزل على محمد ﷺ۔

كتابيات

* ***ncyclopedia de Islam***, 2eme edition 1985
* Arthur Jeffery, ***Materials for the History of the Text of the Quran***, Istanbul, 1937
* د. لبيب السعيد: **الجمع الصوتي الأول للقرآن**، طبعة دار المعارف بالقاهرة 1978
* السيوطى،**الإتقان في علوم القرآن للسيوملي**. مطبعة دار الكتب العلمية بيروت
* الباقلاني: **إعجاز القرآن**، حلبعة عالم الكتب بيروت 1988
* إجناس جولدزيهر: **مذاهب التفسير الإسلامى**، ترجمة د. عبد الحليم النحار، طبعة دار اقرا ببيروت
* ابراهيم شريف، دكتور،اتجاهات **التجديدفى تفسير القرآن فى مصر**،دار التراث، قاهرة، ١٩٨٢ء
* محمد بن سعد الزهري ،**الطبقات الكبير** ۔(بيروت:مكتبة الخانجى، 2001)،
* البخارى ، محمد بن اسماعيل ،**صحيح البخارى** (دار طوق النجاة، 1422م)
* Abraham Geiger: ***Was hat Muhammad aus dem Judentum aufgenommen Born,*** 1833
* R, Blachere: ***Le problem de Mohomet***, PUF- Paris 1952
* Le Coran: L'Appel, ***trduction de andre Chouraqui***, ed Robert Laffont- Paris, 1991
* جولدزيهر، **العقيدة والشريعة فى الاسلام**، ترجمة : محمد يوسف موسى وزميله، مصر، 1948

25 Abraham Geiger: ***Was hat Muhammad aus dem Judentum aufgenommen Born,*** 1833.

26 R, Blachere: ***Le problem de Mohomet***, PUF- Paris 1952 p 42.

27 Le Coran: L'Appel, ***trduction de andre Chouraqui***, ed Robert Laffont- Paris, 1991.

28 مقدمة الترجمة ص 18

29 جولدزيهر، **العقيدة والشريعة فى الاسلام**، ترجمة : محمد يوسف موسى وزميله، مصر، 1948، ص17